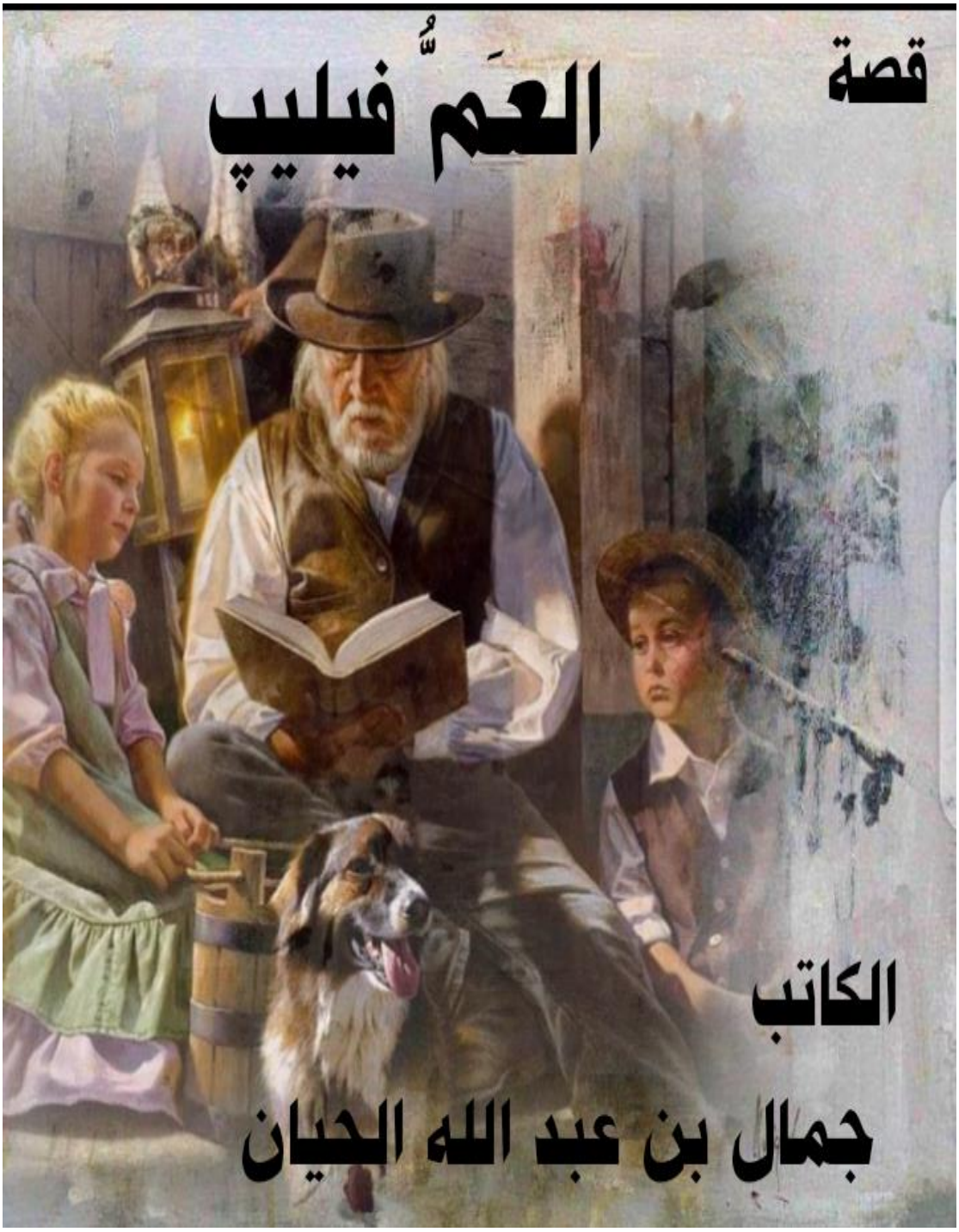
قصة
العَمُّ فيليپ
الكاتب
جمال بن عبد الله الحيان

الترقيم الدولي :

ISBN : 621-7543-34-7339-

تحقيق ومراجعة :

الشرطي الخل والصديق

حسابي على الفايسبوك

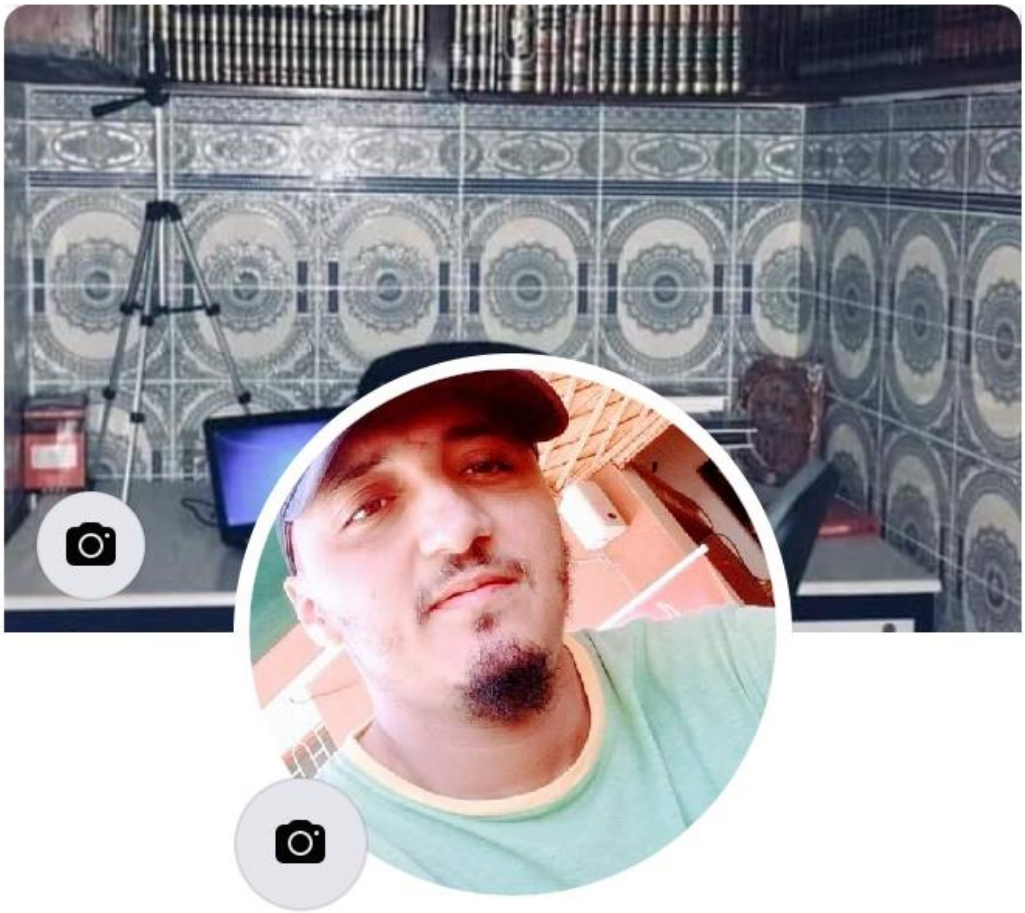

جمال بن عبد الله

حساب جديد 💚

كاتب وروائيّ و قاصّ مغربي.

No rose without thorn.

إضافة إلى القصة

فبنكهة البدايات الجديدة ، نسائم الصباح المعبقة برائحة القهوة والياسمين ، تضفي جمالا لا يوصف على صباح ليس كسائر الصباحات ، وفرحة مخبّأة في يوم مكتوب بماء الماس ، هناك يولد الأمل دائما ... ومن جديد .

نسماته اللطيفة ولغة الطبيعة المشتركة أشعر بها ، بعدلها ، وبالحرية التي تنسج خيوطها بين زفير وشهيق .

نسيم يطوف وعصافير تشدو ، هي الجنة في البيوت الصغيرة المشيدة بدفء ، المحفوفة بالكرم والعطاء ، هو دفء القرب وأصالة الأجداد .

في كل سنة نضرب موعدا مع العم فيليب في زمن غابر ، لم يبق منه سوى الذكريات ورفات تحت التراب ، لَلعيش خلف أسوار القصص والروايات ، أفضل من مجابهة عالم الإشاعة والأكاذيب والتفاهات .

نضرب وعودا ونؤمن بعمر مديد ملؤه العطاء ، نجتاح أماننا مؤملين ، ضاربين بالحائط عشاق التشاؤم .

أصبحت أعاني عقبة اللغة والوحدة ، وقد كانت تلك فترة آسرة من حياتي ، ولا زلت أتذكر عمي فيليب وأبناءه الثلاثة ، ماريو وكاثرين وهنري، أتذكر بصدق

الحجارة حادة الزوايا التي تحز باطن قدميّ ونحن نتجارى بمحاداة النهر ، فكلما أشعلت نارا تذكرت مسامراتنا التي لا تنسى ، وتلك البيوت المليئة بالحنان .

وفجأة يطير الأحبة بدون سابق إنذار ولا فرصة للاستعداد ، فتسيل المقل بالدموع شوقا حارقا ...

لن يفهم أحد بواعث قلقي ، وقد أصبح يوم من السعادة بالنسبة لي شبه معجزة ، فالحياة لا زالت تقدم لي تحديات دائمًا ، وسأكون أكثر ذكاءً إن صمتّ ، وأنا الآن تحت تأثير الهوى ، أصبحت مقيدا بالذكرى ، بعد دهر أو يكادُ .

فمنذ أن كان صوته ينم عن بعض الضيق وقد كثر إحساسه بالتعب ، وبدأت صحته تتداعى ، عرفت واكتشفت وأحسست أيضا ، بقرب الرحيل .

حياة ينيرها ألق سماء نظفتها عاصفة الليل المظلمة ، وقد بقيت عمرا أعاني أسر الأماني ، وأنا خارج من غرفة المعيشة أبكي حزنا ، دون أن ينطوي ذلك على أدنى إذلال ، ولا زلت منتصبا باكيا للحين ، وقد وضعتنا الحياة على دروب متعاكسة ، حين كبروا هم ، بدأنا نستشعر نحن ، ولقد ماتوا وبداية إحساسنا بطعم وحلاوة الحياة .

لا الحب ولا الإيمان قادران على إعادة مشهد الحكايا قرب مدفأة البيت ، ولا هنري الطبيب قادر على إحياء تلك المسامرات ، ولا ماريو الرسام قادر على رسم جزء

يسير من تلك الجلسات ، ولا كاثرين قادرة أيضا على سرد تلك القصص بشكل ينم عن صدق تقشعر منه الأبدان .

ينقصني إزميل لكشط تلك الذكريات التي تنخرني كل يوم والتي ولدت الخواء الموحش في ذاكرتي وقد غزا البياض شعري ولحيتي .

تحملت شطط الأقدار وقد انهار كل شيء ، أرى أحفادي يتجارون ولا شيء من ماضيّ قد علق بطموحاتهم ، أريد أن أصبح مثل العم فيليب ، ولكن للأسف ...

تنقصني تلك الطبيعة الجميلة التي تتخللها القرى الخلابة التي تعانق أرضيات الوادي بجبال الألب ، فإن كنت متوجها لأندرمات فبلغهم سلامي...

تنقصني حقول القش والجبال المهيبة على وادي يورسير بشمسها المشرقة وقلاعها الجميلة ، أتذكر بكل وضوح مغامرتنا الأولى ونحن نتسلق الجبل وأمامنا قلعة توربيون وعن يسارنا قلعة فاليريا ، ونحن نطل على مزارع الكروم والغابات ، وأجراس الكنيسة الرومانية القديمة يسمع صداها بين سفوح جبال الألب .

إسمي جوفري أحكي لكم عمرا قضى نحبه منذ ستين عاما ، ففي شتاء عام 1946 ، توزعت سيوف الصقيع على رقاب سكان البلدة ، وقد امتلأت الأسقف القرميدية بالثلج ، إلى مستوى يهدد بانهيارها ، فلا ترى سوى بياض غزا الجبال كسوةً بيضاء ناصعة ، فنزّ وتر السهم مباشرة فلم تعد هناك أية فرصة للخروج واكتشاف

معالم الوادي ، لقد الغيت جميع أنشطة الكشافة الأشبال تحت إشراف عمي فيليب بعدما قُرر برنامج لرحلتين مشيا على الأقدام .

لن أنسى أبناء عمومتي ، ودموع كاثرين الطموحة لولوج سلك الكشافة ، وتلك الضحكة الريانة يوم قُبلت لازالت مرسومة في صندوق الذكريات لدي في عقلي وصميم ذاكرتي ، تلك الحلوة الجميلة التي حزمت قلبي لسنوات .

لقد كان للكشافة دور مهم في ضبط سلوكنا وقتئذ ، زرعت فينا الانضباط والتأهب للمشاركة في رحلة بحث واستكشاف ... دائما .

لم تكن هناك أي خرجات بسبب الطقس الجليدي القاسي ، بل موعد كل ليلة مع قصص وروايات قرب مدفأة البيت ، والكلب سام متشوق هو كذلك لسماع خيال العم، لا أدري أيفهم ما يقال أم أن الصقيع وبرودة الأجواء جعلته ميالا للدفء قرب الموقد ، المهم أن حضوره يضفي جمالية ورونقا يزيد الجلسة مهابة وجمالا.

ذات فجر شتوي ، كعادته جالسا على كرسي متدحرج وسط الغرفة المقابلة لغرفة المعيشة ، وعن يمينه لوحة تحمل صورة للكاتب والفيلسوف جون جاك روسو وفوقه مباشرة قفص لعصفورين ماتا للتو بسبب البرد القارس ، يجلس وسط دخان

تبغه المحترق ، يشبك أصابعه ، وأغنية قديمة من غرابة الزمان يرددها مع الحاكي ، وبأيدينا أكواب القهوة الدافئة نمزّ منها في كل لحظة وحين ...

لقد كانت قصصه كلها أمل وأماني وفرح ونشاط ، ونحن نتسابق بعد انتهاء كل حكاية لطرح الأسئلة التي تغرز أنيابها بكل قوة في عجوز موهن القوى .

سكت طويلا هذه المرة قبل بداية قصة اليوم ، بل لمدة طويلة مريبة ، يحدث معه نفس الشيء ولكن ليس كهذه المرة ، يعاني ارتفاع الضغط في بعض الأحيان ، أمر عادي لا يوحي بالقلق على أية حال .

صرخت زوجته ديانا وهي تهرول لغرفة الطعام تبحث عن علبة الدواء في صندوق الأدوية بقرب النافذة ، انفتحت النافذة فجأة بقوة ورائحة الصقيع اللذيذ تجول في المكان ، تبعتها كاثرين الصغيرة بصرختها الطفولية وقد أرعبها هيجان الخيول الثلاثة المرعب والعجيب ، اندفع الأبناء بقوة يقبلون أباهم ويعانقونه ويتوسلون إليه كي يستفيق ، وارتمت الزوجة على رجليه تقبلهما وتتوسل إليه كذلك ، وأنا خائف منزو في ركن سحيق وقد توقف الحاكي لوحده ، واختلطت الأصوات في صوت واحد ، والكلب يعوي ويجري بدون توقف ، استمر ذلك لخمس دقائق تقريبا ، وبدأت أول موجة رضى ، اجتمعت هي كذلك مع الصوت الواحد في قالب واحد ، بدأت نار المدفأة تخبو رويدا رويدا ، حين يبدأ العم بسرد حكاياته كل يوم ،

لم يرسخ في ذهني سوى هاته الحكاية ، لأنها النهاية وخاتمة تلك الحياة الطيبة الحكيمة، انتهت بكل سهولة ، وبقينا نعذب بالذكريات الأليمة ثم الأليمة ، وأخيرا زفر الصوت الواحد قائلا: وداعا أيها العم فيليب ...

هناك رقد جمادا ، ووجهه يواجه السماء ...

بقيت وحيدا ، منعزلا ، متكتما ، منذ ذلك الحين ، وقد دفنتهم جميعا ، واحدا تلو الآخر ، وها أنا الآن قد بلغت المشيب أو يزيد ...

فهل هناك قصة أبلغ من قصتي ...!!!

وهل من مؤمن صادق يتطوع لدفني من جديد ...!!!

قرب كاثرين وبلباس الكشافة من فضلك .

"عند ذلك سيكون اسمي قد بات طي النسيان منذ زمن بعيد ، لكنني لا أكتب كي أُذكر ، أنا أحاول فهم الأمور بنفسي ."

باولو كويلو (الجاسوسة)

انتهى بفضل وكرمه في 24 ذي الحجة 1441 الموافق ل 14 غشت 2020 م